AL-'ABQARI JOURNAL VOL. 1 2011: 127-139
ISSN: 2232-0431 / eISSN: 2504-8422
UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
PENERBIT USIM / USIM PRESS

الصراع الحضارى بين الغرب والشرق فى ميزان الإسلام

شمس البحر أندي غاليغو

Abstrak

Pertembungan tamadun antara Timur dan Barat adalah satu gejata akhir zaman. Ia bermaksud pertembungan antara fahaman dan akidah, oleh itu ia berkaitan langsung dengan agama Islam dan agama lain di dunia. Petembungan budaya Barat dan Istam sememangnya telah terjadi sejak perang salib tagi. Perkembangan terakhir telah menghasilkan satu era yang dipanggil era globalisasi. Namun konsep globalisasi yang dikemukakan oleh Barat tidak mampu menyaingi konsep "Alamiyah" yang telah diajarkan oleh Islam sejak empat belas kurun yang tatu. Oleh itu prinsip " al-Islam Ya'lu Wala Yu'ta Alaih" akan tetap relevan untuk kemajuan ummah dan zaman.

Abstract

The clash between the East and the West is one of the phenomenon of the end of time. It is defined as the clash between the understanding and faith and thus, have a direct relation with Islam and other religion in the world. The clash of culture between the West and Islam had always existed since the Crusades. Recently this has given rise to the gtobalization era. However, the concept of gtobatization proposed by the West may not be equivalent to alamiyyah which is the Islamic equivalent to term which was taught by Islam some fourteen centuries ago. Hence, the noted principle of "al-Islam Ya'lu Wala Yu'la Alaih" will atways be relevant for the development of human and time.

مقدمة

قال الله تعالى في محكم تنزيله: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز " [الحج: 39،40].

إن الصراع بين الحضارات إنما هو في جوهره صراع بين معتقدات لا بين طبقات ولا عرقيات. فأصحاب الطبقة الواحدة، والمنتمون إلى قومية واحدة بل قبيلة واحدة قد يقتل بعضهم بعضاً إذا اختلفت أديانهم و معتقداتهم. وهذا ما تؤكد عليه الآية الكريمة التي تشير إلى اعتداء أناس من قبيلة ، هي أشرف قبائل العرب، على أناس آخرين من هذه القبيلة نفسها ؛ لأنهم خالفوهم في الدين و المعتقد.

توصل دارسو الحضارات من الغربيين و الشرقيين إلى أن الحضارة وإن تكونت من عناصر كثيرة إلا أن أهم عنصر فيها هو العنصر الثقافي، وأن أهم عنصر في الثقافة هو الدين. ويلاحظون أن كبرى الحضارات كانت إلى حد كبير مرتكزة على أديان ومعتقدات. فكلمات الحضارة والمدنية والثقافة والعولمة ــ وإن كانت عربية ــ إلا أنها جعلت في الاستعمال المعاصر رموزاً تدل على المعاني والمفهومات نفسها التي تدل عليها الكلمات الأجنبية أو الغربية التي جعلها العرب ترجمة لها.

الحضارة في المفهوم الغربي

كان هنتنجتون Samuel Huntinton أول من أشاع تعبير **صراع الحضارات** في مقالته المشهورة التي نشرت في أواخر القرن العشرين (1993 م) في مجلة Foreign Affairs بهذا العنوان clash of civilizations ، ثم نشرت موسعةً في كتاب بالعنوان نفسه. قد نقل هنتنجتون عن عدد كبير من العلماء الغربيين تعريفهم لما أطلقت عليه كلمة المدنية أو الحضارة civilization ،والفرق بينها وبين ما نسميه ثقافة culture.

ونجمل أقوال من نقل عنهم هنتنجتون في مفهوم الحضارة والثقافة فيما يلي: " يضع المفكرون الألمان حداً فاصلاً بين الحضارة والثقافة، فالحضارة عندهم تشمل التقنية وسائر العوامل المادية، أما الثقافة فتشمل قيم المجتمع الدينية ومثله العليا وخاصياته الفكرية والفنية والخلقية الكبرى ". (برهان غليون 1999: 135)

أما المفكرون الغربيون خالفوا فيه الألمان؛ فهم يرون أن الحضارة والثقافة كليهما تشيران إلى منهاج حياة أمة من الناس، وأن معاني الحضارة إنما هي معاني الثقافة، وأن كليهما يشمل لقيم والمعايير والمؤسسات ومناهج التفكير السائدة في أمة من الناس، وأن الديانة هي أهم العناصر المكونة للحضارة، وأن الحضارة ليست متطابقة مع العرق؛ فأصحاب العرق الواحد قد ينتمون إلى حضارات مختلفة، كما أن الحضـــارة الواحـــدة ـــ كالحضارة الإسلامية ـــ قد تضم مجتمعات مختلفة الأعراق والألوان والشعوب.

ومن هنا، الحضارة هي أوسع وحدة ثقافية؛ فأهل قرية أسبانية مثلاً قد يتميزون ثقافياً عن قرية أسبانية أخرى لكنهم يشتركون في ثقافة أسبانية تميزهم عن أهل القرى الألمانية. والألمان والأسبانية ينتمون إلى ثقافة أوروبية تميزهم عن الثقافات الملايوية والصينية والهندية. هذا الذي يجمع الأوروبيين هو حضارتهم التي تميزهم عن الحضارات الأخرى. فالحضارة هي أعلى تجمُّع ثقافي للناس، وأوسع مستوى للهوية الثقافية لهم. وليس فوق الانتماء الحضاري للناس إلا انتماؤهم إلى الجنس البشري.

العولمة في المفهوم الغربي

أما العولمة الغربية فمقصودها للتعارف بين الناس تصيير المحلي عالمياً؛ فهي وصف لعملية مستمرة تدل عليه كلمة Globalization لكنها في الوقت نفسه وصف لبعض نتائج هذا التعولم. فالنتيجة النهائية المرجوة للتعولم كما يقولون:

- أن تكون للعالم كله لغة أو لغات مشتركة،
- وأن تكون التجارة فيه مفتوحة ومتيسرة بين كل بلدان العالم،
- وأن يسود فيه نظام اقتصادي واحد (رأسمالي)، ونظام سياسي واحد (ديمقراطي)،
- وأن تسود فيه عقيدة واحدة (عولمة إنسانية)،
- وأن تكون للناس فيه قيم مشتركة في مسائل كحقوق الإنسان والعلاقة بين الجنسين،
- وأن يكون هنالك أدب عالمي يتذوقه الناس كلهم، وأن يسود فيه تبعاً لذلك نظام تعليمي واحد، وهكذا،
- وأن تكون كل هذه الأمور التي تعولمت مناسبة للناس من حيث كونهم بشراً، ومساعدة لهم على تحقيق طموحاتهم المادية والروحية، أي تكون للعالم حضارة عالمية واحدة. (أندي غاليغو 2005)

ولكن العولمة الغربية قد تكون ناقصة، وقد تكون تامة من غير أن تكون مناسبة للبشر، بل مفروضة عليهم لظروف طارئة. المهتمون بقضية العولمة متفقون تقريباً على أنه وإن كانت لكلمة جديدة إلا أن ما تصفه ليس بجديد، بل يرى بعضهم أن السير نحو هذه العالمية بدأ منذ مئات السنين. فإذا كانت هذه هي العولمة فما وسائلها التي تجعلها ممكنة؟

ذكر بعض الدارسين أنه كان للعولمة الغربية في الماضي وسيلتان أساسيتان هما الهجرة والغزو. ولكن هنا نتساءل: لماذا يهاجر الناس، ولماذا تغزو بعض البلاد بعضاً؟ إنهم يفعلون ذلك؛ لأنهم يرونه — بحسب قيمهم — في مصلحتهم المادية أو الروحية. هذا إذن هو الدافع الأول المحرك للهجرة أو الغزو أو أي نوع آخر من أنواع الاتصال بين أمة وأمة.(برهان غليون 1999)

ولكن الناس إنما يقررون الهجرة إلى مكان معين أو غزو أمة معينة بحسب ما يصلهم من معلومات عنها، وبحسب إمكانية الوصول إليها، هذان إذن عاملان آخران هما المعلومات ووسائل الانتقال؛ وهذان يعتمدان كثيراً على مستوى التقنية الذي تصل إليه الأمة المهاجرة، أو الغازية لأي نوع آخر من أنواع العلاقات أو التأثيرات.

الصراع الحضاري ووسائل العولمة

إن من دوافع غزو أمة لأمة أخرى أو هجرة بعضهم إليها هي في غالبها دافعا اقتصاديا، لكن بعض الدوافع قد يكون ثقافياً. والأمران متشابكان؛ فحتى الغازي لأسباب اقتصادية ينقل معه ثقافته وقد يفرضها على المهزومين إذا كان غازياً ذا إمكانات كبيرة، وقد يتأثر بثقافة من غزاهم، بل وقد يتبناها ويترك ثقافته، وقد يكون التأثر والتأثير متبادلاً. والمهاجر أو الغازي لأسباب ثقافية قد يستفيد فوائد اقتصادية، وقد يحدث لثقافته التي هاجر من أجلها ما يحدث للمهاجر.

وقد كان غزو المسلمين للعالم مثلاً للغزو بدافع الدعوة والحضارة؛ فقد كانوا يعدون أنفسهم أصحاب رسالة موجهة للعالم كله كلفوا هم بتبليغها إليه بالوسائل السلمية ما أمكن، وإلا باللجوء

إلى الحرب. لكن حتى المسلمين الذين كانوا يهاجرون طلباً للرزق - كما نقل إلينا ما حدث في جنوب شرق آسيا - كانت مهمتهم الرسالية ماثلة أمامهم، فأثروا في البلاد التي هاجروا إليها تأثيراً كبيراً، فنقلوا إليها دينهم وثقافتهم ولم يتأثروا بهم إلا في أمور لا تتعارض مع دينهم، بل قد يكون بعضها من مقتضيات الدعوة إليه، كتعلم لغتهم.

أما المسلمون الذين يهاجرون إلى البلاد الغربية في العصر الحديث، فإنهم يفعلون ذلك لأسباب في غالبيتها العظمى اقتصادية، وتجربتهم تدل على أن الغالبية العظمى منهم تفقد هويتها الثقافية ـــ لغة ومظهراً ودينا ـــ وتذوب في المجتمعات الغربية. لكن أكثر ما يحتفظون به ويؤثرون به في تلك المجتمعات هو طعامهم. غير أن قلة من هؤلاء الذين هاجروا لأسباب اقتصادية كانت ـــ مع القلة التي تسافر لأسباب دعوية أو دراسية ـــ سبباً في قبول بعض الغربيين للإسلام، وفي انتشار بعض المظاهر الإسلامية كالمساجد والمدارس والمكتبات والمطاعم.

أما الغربيون الذين سافروا إلى العالم الإسلامي غزاة أو لأسباب سياحية و اقتصادية، فإن قلة قليلة منهم هي التي تأثرت بالثقافة الإسلامية أو اعتنقت الإسلام. ولذلك كان دخول بضعة مئات من الجنود الأمريكان في الإسلام في المدة التي قضوها في العراق وأفغانستان وغيرهما أمراً ملفتاً للنظر. لكن دخول غير الغربيين المهاجرين إلى العالم الإسلامي كان ولا يزال أمراً معتاداً.

وكذلك غزو الغرب للعالم الشرقي عموما فقد كان في أساسه لأسباب تجارية و سياحية، لكن الدافع الرسالي كان أيضاً حاضراً فيه حضوراً بيناً. فالغربيون كانوا يرون أن لهم رسالة ودعاية هي أن يحضّروا العالم. وهم يرون أن حضارتهم تفوق الحضارات الشرقية لما تمتاز به من عقلانية لا توجد في غيرها، وأن هذه الميزة هي التي تؤهلها لأن تكون الحضارة العالمية.

وقد عبر عن هذا الرأي هيجل بقوله: "إن الروح الألمانية هي روح العالم الجديد". وقال بعض الباحثين: إن هيجل يرى أن الروح الأوروبية التي هي روح ألمانيا هي الحقيقة المطلقة التي تحقق نفسها بنفسها من غير أن تكون مدينة لأحد سواها. وذكر أيضا: إن هذه القضية ـــ يعني قضية هيجل ـــ لم تفرض نفسها على أوروبا والولايات المتحدة فحسب؛ بل على كل المجال الفكري لأطراف العالم. ويقول آخرون: "إنه لأمر عجيب و إنها لحركة في غاية التعصب العنصري أن تعتقد أوروبا أن عليها منذ عام 1500 م أن تحضّر عالماً ظلت فيه منذ قرون حضارات (مثل الحضارة الصينية والهندية والإسلامية...) قبل أن تجعل من نفسها مركزاً جديداً للعالم باسم النصرانية وأوروبا زمرة من الجماعات الهمجية الصاعدة". (علي عبد الحليم 2003)

واستطاعت أوروبا أن تفرض نفسها وكثيراً من جوانب حضارتها على تلك الحضارات بالغزو والاحتلال والاستعمار، ثم بوسائل الإعلام والضغوط الاقتصادية، والتهديدات العسكرية. حتى قال بعض الباحثين المحدثين: "إن التغيير الذي حدث في تاريخ العالم بعد عام 1500 م لم يكن له سابقة. لم يحدث من قبل ذلك أبداً أن انتشرت حضارة واحدة في أرجاء الأرض كلها؛ فمنذ أقدم

مسارح ما قبل التاريخ المشاهدة كان الميل دائماً نحو التنوع. أما الآن فإن التيار الثقافي بدأ يتحول؛ إن جوهر ما كان يحدث كان بادياً حتى منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي". (برهان غالبون 1999)

فالأمم الأوروبية ــ بما فيها روسيا ــ كانت في ذلك الوقت قدادعت لنفسها أكثر من نصف سطح الأرض، وكانت ــ بدرجات متفاوتة ــ قد سيطرت بالفعل على ما يقرب من ثلثه. ففي غرب الكرة الأرضية كانوا قد ازدرعوا جماعات مستوطنة تكفي بأعدادها الكبيرة لإنشاء مراكز حضارية جديدة؛ فقد خرجت أمة جديدة من المقاطعات البريطانية السابقة في أمريكا الشمالية، وفي الجنوب استطاع الأسبان أن يحطموا حضارتين ناضجتين ليغرسوا حضارتهم.

ثم كان هنالك في ذلك التاريخ ما يقرب من عشرين ألف هولندي في جنوب أفريقيا، وأن أستراليا كانت قد بدأت تستقبل مستوطنيها الجدد. وأن الزائر الأوروبي لشرق أفريقيا وإيران والهند وأرخبيل الملايو كان سيجد فيها أوروبيين جاؤوا ليتاجروا ثم ليرجعوا إلى بلادهم في المدى القريب أو البعيد ليستمتعوا بالأرباح التي حققوها. في النصف الثاني من القرن التاسع عشر المحري كان الاستعمار الغربي قد شمل أفريقيا كلها، وأحكم سيطرته على شبه القارة الهندية وبقية آسيا.

وفي أوائل القرن العشرين أخضع الشرق الأوسط كله ــ عدا تركيا ــ لسيطرته المباشرة، ومع نهاية عام 1920 م كانت الخلافة العثمانية قد قسمت بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. في غضون هذا التوسع قضى الغرب قضاءً كاملاً على حضارتي (Meso American) و (Indean)، وأخضعت الحضارات الهندية والإسلامية وقارة أفريقيا. (برهان غالبون 1999)

وتوغل في الصين وجعلت تابعة للنفوذ الغربي لمدة أربعمائة عام تمثلت العلاقة بين الحضارات في خضوع المجتمعات الشرقية للحضارة الغربية. وذلك ما كان حتى عام 1920 م ؛ فماذا حدث بعده ؟ استمر الغرب في تفوقه التكنولوجي واستمر في تأثيره الكبير على كل مجتمعات العالم لا سيما بعد الطفرة التي حدثت في تكنولوجيا الاتصالات والانتقالات التي زادت في إمكانية العولمة الغربية.

هيمنة الحضارة الغربية على الشرق

تتمثل الهيمنة الغربية على الأمم الشرقية لكون المؤسسات الغربية اليوم؛ في الآتي:-

- تملك وتدير النظام المصرفي العالمي وتسيطر على كل أنواع العملة الصعبة وأنها هي الزبون العالمي الأول.
- وتوفر للعالم معظم بضائعه الجاهزة وتسيطر على أسواق الرأسمال العالمية، وتمارس قدراً كبيراً من القيادة الأدبية في كثير من المجتمعات.
- ولها قدرة على التدخل العسكري و تسيطر على المضايق البحرية.
- وتقوم بمعظم البحوث والتطوير للتقنية المتقدمة والمتحكمة في التعليم التقني الفائق
- والمهيمنة على المدخل إلى الفضاء وعلى صناعة الطيران وعلى وسائل الاتصال العالمية.
- والسيطرة على التقنية العالية لصناعة الأسلحة.(محمد عمارة 2003)

وعلى الرغم من ذلك فإن العولمة الغربية لم تكن أن تسود في العالم ثقافة إنسانية تناسب كل الناس وتساعد على تعاونهم وتطورهم والاستفادة من خيرات بعضهم بعضاً. بل كادت العولمة وكاد التحديث أن يكون تغريباً بسبب هذا التفوق الغربي وعدم تسامح حضارته مع الحضارات الأخرى. ومن هنا يرى بعض الباحثين أن العولمة هي الأمركة.

وبذلك يرى بعض الدارسين اليوم أن هناك إشارات بأن هذه الهيمنة لم تكن مستمرة وتلك الأيام نداولها بين الناس كما ورد في الدستور الإسلامي لأسباب آتية:

وجود القوة الغربية لم يكن لمجرد أسباب داخلية في الحضارة الغربية، وإنما كان أيضاً لظروف خارجية مواتية. أما الآن فإن ظروفاً خارجية أخرى لا قِبَلَ للغرب بتغييرها جعلته يضعف ضعفاً نسبياً للازدياد النسبي في القوة الاقتصادية والتقنية لبلاد غير غربية، مثل الصين والهند.

السبب الأساسي لسيطرة الغرب على الشرق لم يكن قيماً ولا فكراً ولا ديناً وإنما كان هذه القوة. يقول بعض الباحثين: لم يغلب الغرب العالم بتفوق في أفكاره أو قيمه أو دينه وإنما غلب بتفوقه في العنف المنظم. إن الغربيين كثيراً ما ينسون هذه الحقيقة، لكن غير الغربيين لا ينسونها أبدا. ومع أن الغرب وإن لم يكن في نفس الأمر متفوقاً في تلك المجالات إلا أن أهله كانوا يعتقدون فيه هذا التفوق، وأن هذا الاعتقاد الباطل كان دافعهم، مع الدوافع الاقتصادية للخروج لغزو العالم.

إن هذا الضعف النسبي في القوة المادية للغرب يصحبه وربما سبقه فتور في الدافع الرسالي؛ فحماس الغربيين لدينهم المسيحي في بداية قرنهم الواحد والعشرين لم يعد كما كان في القرن الثامن عشر، ولم يطرأ هذا الفتور في الحماس الديني بسبب التأثر بالحضارات الأخرى في المكان الأول، وإنما كان في أساسه:

1- بسبب دراساتهم العلمية لأصول دينهم التاريخية، تلك الدراسات التي شككت في الثبوت التاريخي لكثير من نصوصه، والتي أثبتت أن في هذه النصوص تناقضاً ومخالفة لبعض الحقائق العلمية نشأ عنه انقسامهم إلى أصوليين — أكثرهم من العوام — يؤمنون بحرفية ما في كتابهم المقدس، وليبراليين يعتقدون أنه ما كل ما فيه من عند الله، وأنه تأثر بالظروف الثقافية للزمن الذي كتب فيه.

2- ثم كان التطور في مجال العلوم الطبيعية سبباً آخر؛ لأن منهج هذه العلوم يقوم على عقلانية لا وجود لها في دينهم.

3 - ثم زاد من ضعف الإقبال على الدين أو الاهتمام به النظام السياسي العلماني الذي يفصله عن الدولة، بل وعن الحياة العامة كلها.

إن للمفكرين الغربيين يأملون في أن يحل العلم الطبيعي محل الدين، وينجح في حل مشاكل البشرية التي عجز الدين المسيحي عن حلها. لكن تجربة الحربين العالميتين العظميين، واعتمادهما على التقنية الحربية التي وفرها العلم الطبيعي أضعفت من هذا الأمل. ثم كانت كارثة هيروشيما ونغاساكي اليبانية، فاقتنع كثير من المفكرين والعوام الغربيين بأن العلم الطبيعي إنما هو سلاح يعتمد حسن استعماله أو سوءه على قيم لا تؤخذ منه هو، فلا بد أن يكون لها مصدر آخر.

لم يبق للغرب الآن مبدأ يتعلق به ويدافع عنه ويعتز به إلا الديمقراطية الليبرالية وما يصاحبها من نظام رأسمالي. لكن حتى هذين يجدان كثيراً من النقد والمراجعة لعدم وفائهما ببعض القيم الإنسانية، ولا سيما إنصاف الفقراء، ولما نتج عنهما من تعميق للروح الفردية وما يصحبها من مشكلات اجتماعية وسياسية.

الروح السائدة في الغرب الآن ليست روحاً متفائلة، بل إن التشاؤم قد يصل بهم إلى الحد الذي عبر عنه فرانسيس فوكاياما في نهاية التاريخ: "إن أوروبا بدأت تدخل في عصر ظلام جديد يتميز

بالأوبئة والمتسولين وانهيار المدن، وبعث الخرافة، وعودة التهديد القادم من الشرق، من آسيا ومن الإسلام". (حيدر عبد الكريم 2002)

مقومات العالمية للحضارة الإسلامية

بعد أن عرضنا تلك الكليمات نستطيع أن نقول: إنه حتى لو لم يطرأ هذا الفتور في حماس الغربيين لدينهم ولرسالتهم، فإنه ما كان لحضارتهم أن تصير حضارة عالمية إذا ما فقدت القوة المادية؛ لأنها لا تملك في نفسها مقومات العالمية.

إذا، ما الذي يؤهل الحضارة الإسلامية لأن تكون حضارة عالمية ؟

ينبغي أن نميز أولاً بين الإسلام والحضارة الإسلامية ؛ لأنه إذا كانت الحضارة هي في جوهرها المعتقدات والقيم والتصورات المتمثلة فعلاً ــ أو قل إلى حد كبير ــ في واقع أمة من الأمم، فما كل ما جاء به الدين المنزل من عند الله متمثلاً في الأمة التي تعلن إيمانها به. فالدين هنا دينان: دين منزل من عند الله لا يتغير ولا يتبدل {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر: 9] ودين متمثل في واقع الناس يقترب من الدين المنزل أو يبتعد عنه، ولا يطابقه إلا في الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء به، والذي صدق عليه قول زوجه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن" (رواه مسلم)، أما غيره فمنهم من يقرب منه قرباً شديداً، و منهم من يبتعد عنه بعداً كبيراً

وإن كان منتسباً إليه. فالحضارة الإسلامية المتمثلة في واقع المسلمين تتأهل للعالمية بقدر قربها من الدين المنزل الذي تنتسب به.

فما مقومات العالمية في هذا الدين ؟ إنها مقومات كثيرة وعظيمة، لكننا نكتفي في هذه الورقة بالإشارة إلى بعضها:

1- أنه بينما كان الرسل من أمثال موسى وعيسى ـــ عليهم صلوات الله وسلامه ـــ يرسلون إلى أقوامهم خاصة فإن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة، أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله خاتماً للنبيين. فحتى لو كان اليهود والنصارى المنتسبون إلى هذين الرسولين ظنا منهم، لما جاز لهم أن يجعلوا منهما دينين عالميين بعد نزول الدين الخاتم؛ لأن الله تبارك وتعالى إنما أرسل هذين الرسولين إلى قومهما خاصة وإلى فترة محدودة.وهذا المعنى هو المذكور في قوله تعالى: وما أرسلناك إلاكافة للناس بشيرا ونذيرا (سورة سبأ: 8) وقوله تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (سورة الأنبياء: 107). فالمسلم المستمسك بدينه العارف بهذه الحقيقة يستبشر بالتطور الذي حدث في وسائل الاتصال والانتقال الذي جعل من العالم قرية واحدة كما يقولون. يستبشر به؛ لأنه يرى فيه تصديقاً لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فلا أحد غير الله سبحانه وتعالى كان يمكن أن يعلم أن العالم سيتقارب هذا التقارب فلا يحتاج إلا إلى رسول واحد.

2- أن إمكانية تقريب المسافات أمر حاضر في حس المؤمن الذي يقرأ قول الله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} [الإسراء: 1]، وحين يذكر كيف أن المكذبين به صلى الله عليه وسلم ضاقت صدورهم عن أن يقبلوا إمكان ذلك، وحسبوا أن الممكن محصور في المألوف. ويقرأ المؤمن في القرآن (سورة النمل 40) أن رجلاً عنده علم من الكتاب استطاع أن ينقل عرشاً بأكمله في أقل من طرفة عين من اليمن إلى الشام، وهكذا يقرأ فيه ما هو أعجب من ذلك، أن الرسول صلى الله عليه وسلم عُرج به إلى السماء السابعة ورجع في ليلة واحدة؛ وهي مسافة لو قطعها مخلوق بسرعة الضوء لاستغرقت منه البلايين من السنين الضوئية. ويصدق المسلم قول رسوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها".

2- أن إمكانية تقريب المسافات أمر حاضر في حس المؤمن الذي يقرأ قول الله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} [الإسراء: 1]، وحين يذكر كيف أن المكذبين به صلى الله عليه وسلم ضاقت صدورهم عن أن يقبلوا إمكان ذلك، وحسبوا أن المكن محصور في المألوف. ويقرأ المؤمن في القرآن (سورة النمل 40) أن رجلاً عنده علم من الكتاب استطاع أن ينقل عرشاً بأكمله في أقل من طرفة عين من اليمن إلى الشام، وهكذا يقرأ فيه ما هو أعجب من ذلك، أن الرسول صلى الله عليه وسلم عُرج به إلى السماء السابعة ورجع في ليلة واحدة؛ وهي مسافة لو قطعها مخلوق بسرعة الضوء لاستغرقت منه البلايين من السنين الضوئية. ويصدق المسلم قول رسوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها".

فالمسلمون في كل بقاع الأرض الآن أقرب إلى دينهم من النصارى أو اليهود لدينهم. فما زال المسلمون رغم كل تلك الظروف المختلفة يصلون الصلوات الخمس، ويصومون شهر رمضان، ويحجون إلى بيت الله الحرام، ويقرأون الكتاب المتزن على رسولهم من غير تحريف ولا تبديل.

5- وإذا كان تطور العلوم الطبيعية يقف الآن حجر عثرة في طريق بعض الأديان الباطلة، فإنه يقف شاهداً على صدق هذا الدين الإسلامي؛ لأنه لا يجد فيه ما يخالف شيئاً من حقائقه، بل يجد فيه تقريراً لبعض تلك الحقائق قبل أن يتمكن الإنسان من اكتشافها بوسائله البشرية. ولا يجد فيه مخالفة لمنهجه العقلاني التجريبي؛ إذ يجده ديناً لا يأتي بمحالات العقول، ولا ينكر ما يشهد به الحس. فإذا ما شعر الناس بأهمية الدين ـــ كما يشعر بذلك كثير منهم الآن ـــ وإذا ما صدهم عما عرفوه من أديان تناقضها المنطقي، أو مخالفتها للواقع المحسوس فسيجد ديناً فيه كل ما يريد من هدى واستقامة وراحة نفسية، وهو خال من تلك النقائص. فسيكون العلم الطبيعي بإذن الله سبحانه سبباً من أسباب دخول الناس في هذا الدين على المستوى العالمي.

6- والغرب وإن كان في مجموعه مهيمناً تلك الهيمنة التي ذكرناها سابقاً إلا أنه ليس شيئاً واحداً منسجماً متعاوناً، وإنما هو شعوب ودول وجماعات تختلف مصالحها ويثور التنافس والتحاسد بينها، ويرتاب بعضها من قوة بعضها ويخشى من سيطرتها. بخلاف أمة الإسلام التي وحد الإسلام بينها على اختلاف أجناسها ولغاتها وبلادها وأعراقها وثقافاتها، فقانونه العام (إنما المؤمنون إخوة) وهو ما يفقده الغرب قطعا.

خاتمة: أهم لتحديات ولعقبات

إذا كانت تلك هي بعض المقومات التي تؤهل الإسلام ليكون دين القرية العالمية، ومركز-حضارتها، ولكن في واقع الأمة الإسلامية اليوم ما يعرقل سيرها بدينها نحو تلك العالمية؛ ومن أبرز تلك التحديات الآتي:

- كون الحضارة الغربية قد نجحت في جعل بعض المنتسبين إليه عملاء لها في داخل البلدان الإسلامية، ومكنت لهم فيها؛ فهم الذين قسموا الأمة الإسلامية وجعلوها متنازعة، وشغلوها بصراعات داخلية سياسية واجتماعية. و أن هذا النزاع كان وما يزال السبب في فقدان القدر اللازم من الحرية التي هي أيضاً شرط لذلك التقدم. لكن الغربيين الذين كانوا سبباً في فقدانها يعزون هذاالفقدان الآن إلى طبيعة الإسلام والمسلمين.

- إن كثيرا من المنتمين إلى الإسلام قد حادوا عن الطريق المستقيم، ففقدوا بذلك الشرط الذي علق الله سبحانه نصره لهم عليه في قوله في كتابه لكريم: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في اللارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون} [النور: 55].

- إن الغرب قد يبالغ في خوفه من الإسلام، ويزيد في هذا التخويف أناس يبالغون في خطر الصحوة الإسلامية متخذين من هذا التخويف وسيلة لتحقيق مآرب لهم لا تمت إلى مصلحة الغرب في شيء. وبسبب هذا الخوف من الإسلام يبالغ الغرب في ضغطه على الدول الإسلامية والتدخل في شؤونها ليقضي على كل بادرة لهضة إسلامية تطل برأسها فيها،باسم التطرف والإرهاب {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} [يوسف: 21] .

- هناك بعض الدعاة من المسلمين يتصرفون وكأنه لا وجود للغرب نفسه؛ فلا يتتبعون أخباره ولا يهتمون بمعرفة سياساته ومخططاته، ولا يفكرون في الرد على أفكاره، وصار هؤلاء الدعاة مشغولين بمحاربة أناس هم معهم في صف الأمة الإسلامية، وهذا يؤدي كذلك إلى تشتت المجتمع وتفرقهوالبعد عن السير نحو العالمية.

ولن يستطيع أحد إطفاء جذوة هذا الدين، فهو مستمر إلى يوم القيامة كما قال سبحانه :"يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" (سورة الصف: 8-9)

أهم مراجع البحث

برهان غليون. 1999 : *ثقافة العولمة وعولمة الثقافة*. بيروت: دار الفكر

حيدر عبد الكريم العزيز. 2002 : *المسلمون والبديل الحضاري*. ط2 طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي

حسن أحمد حسان. 2001 :*الفكر الإسلامي والنظام العالمي الجديد*. القاهرة : دار الوفاء

على عبد الحليم محمود. 2003 :*التراجع الحضاري في العالم الإسلامي وطريقة التغلب عليه*. القاهرة: دار الوفاء

محمد عمارة. 2003 :*مخاطر العولمة على الهوية الثقافية*. القاهرة: دار نهضة مصر

_____. 2005: *المشروع الحضاري الإسلامي*. القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر

شمس البحر أندي غاليغو. 2005 :*دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر*. كوالالمبور: فجر العلوم